حقيقة التعبُّد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة

The reality of worship and the opinions of scholars in judging the ranks of worship

مروه خرمه

Marwa Kharma

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية المتحدة

Department of Sharia and Islamic Studies, College of Law, United Arab Emirates University, United Arab Emirates

الباحث المراسل: marwaomarsemobas@uaeu.ac.ae

تاريخ التسليم: (2018/10/23)، تاريخ القبول: (2019/4/4)

ملخص

إن مرتبة التعبد هي أشرف مراتب المحبة وأعلاها، وهي تعبّرعن مرتبة الإحسان _أعلى مراتب الدين_ ولشرف هذه المرتبة وأهميتها فقد خصصت لها بحثا بعنوان (حقيقة التعبد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة)، وقسمته إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول فكان في: بيان حقيقة التعبد وفوائده وشرفه، والمبحث الثاني في بيان: علاقة التعبد بالتوحيد، ثم كان المبحث الثالث في بيان: أنواع العباد والعبادة ومراتبها والحكم عليها، وختمته بخاتمة فيها أبرز النتائج. وقد توصلت إلى: أن التعبد هو كمال الحب مع كمال الخضوع، وهو خالص حق الله تعالى على عباده بتوحيد العبادة وتوحيد المحبة، وأن الناس متفاوتون في مراتب عبادتهم، وقد تفاوتت آراء العلماء في الحكم على مدى صحة تلك المراتب، وأن أساس الحكم على مدى صحة العبادة وقبولها هو نية العابد، وأن مقام التعبد يتحقق بعدم الإشراك بالله تعالى سواء في أعمال الظاهر أو في أعمال الباطن، فـ (لا إله إلا الله) تقتضي أن: لا معبود ولا محبوب إلا الله وحده لا شريك له.

الكلمات المفتاحية: التعبد، المحبة، الإحسان، مراتب العبادة وحكمها.

Abstract

The rank of worship is the most honorable and highest of the ranks of love, and it expresses the rank of (Iihsan) - the highest level of religion -

and for the honor and importance of this rank, I devoted a research to it entitled (The reality of worship and the opinions of scholars on judging the ranks of worship), And I divided it into an introduction, three topics and a conclusion. As for the first topic, it was: Explaining the truth of worship, its benefits and honor, and the second topic in a statement: The relationship of worship with monotheism, Then the third topic was in a statement: Types of worshipers and worship, their ranks and judgments, and I concluded with a conclusion with the most prominent results. That: worship is the perfection of love with perfection of submission, and it is the pure right of God Almighty over His servants to unify worship and unify love, and that people differ in their ranks of worship. The opinions of scholars differed in ruling on the validity of these ranks, and that the basis for ruling on the validity and acceptance of worship is the intention of the worshiper. And that the place of worship is achieved by not sharing God Almighty, whether in the deeds of the outward or inward deeds, so (There is no god but God) requires that: There is no worshiped or beloved but God alone, with no partner.

Keywords: Worship, Love, Al'iihsan, Ranks of Worship and its Ruling.

المقدمة

اشتهر عن العرب أنهم إذا كان الشيء عندهم خطيراً أو عظيماً أو محبوباً وضعوا له تسميات كثيرة، وقد اجتمع في الحب كل من الخطورة والعظمة والمحبة، فكثرت أسماؤه وكثر الحديث عنه شرحاً وتوضيحا ومدحاً وترغيبا فيه، وأفرد العلماء كتبا وفصولاً من الكتب تناولوا فيها شرح الحب وأسمائه ومراتبه، وذهب بعضهم إلى القول بأن مراتب المحبة هي أسماء وألقاب لها، في حين ذهب آخرون إلى القول بأن مراتب المحبة هي أنواع تحت جنس المحبة واختلف ترتيبهم لها إلا أنهم متفقون على أن الحب ليس مرتبة واحدة بل عدة مراتب تضعف وتقوى بحسب حال كل محب، وأنها تبدأ عاطفة ضعيفة ثم تقوى إلى أن تصل إلى أعلى مراتب المحبة، وقد ورد في الكتاب العزيز والسنة المشرفة مراتب عديدة للمحبة وهي: الإرادة والألفة والود والهوى والصبابة والضلالة والشغف والوله والعشق والخلة والتعبد، وتناول العلماء المسلمون هذه المراتب بالشرح والتوضيح.

وإن أهم مرتبة لعباد الله تعالى هي مرتبة (التعبد) التي هي: غاية الحب مع غاية الخضوع والتذلل للمحبوب، ومرتبة التعبد هي أشرف وأعلى مراتب المحبة، وهي خالص حق الله تعالى على عباده بتوحيد العبادة وتوحيد المحبة، وتعبّر مرتبة التعبد عن مرتبة الإحسان _ أعلى مراتب

الدين_ فالإحسان أن يكون العبد في عبادة دائمة ((أَنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ))، وحقيقة الإسلام تشير إلى هذه المرتبة إذ هو الانقياد والاستسلام والخضوع وهو معنى الحب، فالمحب منقاد لحبيبه مستسلم له، ولأهمية مرتبة التعبد فقد خصصت لها هذا البحث بعنوان: (حقيقة التعبد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة).

أسئلة الدراسة

إن هذا البحث يحاول الإجابة عن سؤال مهم هو: ما حقيقة التعبد وما هي آراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد من الإجابة على أسئلة فرعية أهمها:

1. ما حقيقة التعبد لغة واصطلاحا وما فوائده وشرفه؟
2. ما علاقة التعبد بالتوحيد؟
3. ما أنواع العباد والعبادة وما درجاتها (مراتبها)؟
4. ما حكم العلماء في مدى صحة عبادة الله: خوفا أو طمعا أو محبة واستحقاقا؟ وما مدى صحة تلك الأحكام؟

أهمية الدراسة

تظهر أهمية الدراسة في كونها تتناول موضوع غاية في الأهمية؛ فإن وظيفة العبد الأولى التي خلق ليحققها هي العبادة، قال تعالى: {وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، وتحاول هذه الدراسة أن تقرب بين وجهات نظر العلماء فيما اختلفوا فيه من آراء حول الحكم على مراتب العبادة، مع تحليل لآرائهم لمعرفة سبب اختلافهم وسبب ذهابهم إلى ما ذهبوا إليه في هذه المسألة.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بيان حقيقة التعبد وعلاقته بالتوحيد وبالمحبة، ومحاولة توضيح موضوع مراتب التعبد والتفريق بين العلماء المتخصصين في الحكم على مراتب العبادة، وتهدف إلى التنبيه على أهمية ربط حقيقة التعبد عند كل عبد بنيته، دون التسرع في الحكم على مدى صحة أو خطأ عبادته.

حدود الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على عدد من المراجع المتنوعة بين كتب العقيدة والتفسير والحديث والأخلاق، وذلك بأخذ نماذج من كتب العلماء وطرح الموضوع من خلالها لئلا يطول البحث. كما أنني لم أتوسع في ذكر رأي الصوفية في موضوع التعبد لطوله وكثرة تفرعاته عندهم، فهو يحتاج إلى بحث بل أبحاث طويلة مستفيضة تستوعب آراء هذه الفرقة التي لها رؤيتها الخاصة في هذا الموضوع.

الدرسات السابقة

من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع بحثي بحث محكم بعنوان: (العبادة في الإسلام وعلاقتها بالتوحيد)، للدكتور محمد نبيل طاهر العمري، مجلة دراسات، عدد علوم الشريعة والقانون، مجلد43 للعام 2016، وقد تناولت تلك الدراسة الحديث عن علاقة العبادة بالتوحيد، والإجابة عن سؤال: لماذا العبادة؟ وهل الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى عبادتنا؟ كما بيّنت غاية العبادة وآثارها على الإنسان والمجتمع ليترقّى الإنسان إلى مرحلة السموّ الإنسانيّ، وليكون صالحاً للاستخلاف في الأرض، وليكون المجتمع فاضلاً كما أراد الإسلام له ذلك، وأنّ العبادة بمعناها الشامل والواسع تشمل فعل الطاعات وترك المنكرات، والحركات القلبية وأفعال العقل وكل ما ينعكس على سلوكه ليكون سيّداً في هذا الكون، ملتزماً بأخلاق خير أمة أخرجت للناس.

وعليه فإن تلك الدراسة السابقة تناولت موضوع العبادة من جوانب أخرى تختلف عن الجوانب التي في بحثي هذا؛ إذ لم تتطرق إلى أنواع العباد والعبادة وأحكام العلماء فيها وهو ما تناولته في بحثي.

منهجية البحث

اعتمدت في بحثي هذا على عدة مناهج من أبرزها: منهج الاستقراء في كتب العلماء لاستخراج المعلومات المتعقلة بموضوع التعبد وأحكام العلماء على مراتبه، ثم منهج الاستنباط للأحكام، والمنهج التحليلي والمقارنللآراء للتميز والترجيح بينها.

خطة البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول فكان في: بيان حقيقة التعبد وفوائده وشرفه، وفيه مطلبان: المطلب الأول: التعبد لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني: فوائد التعبد وشرفه، والمبحث الثاني عن: علاقة التعبد بالتوحيد، ثم كان المبحث الثالث وهو في: بيان أنواع العباد والعبادة ودرجاتها (مراتبها)، وفيه مطلبان: المطلب الأول: أنواع العبادة والعباد، والمطلب الثاني: درجات (مراتب) العبادة والحكم عليها، ثم كانت الخاتمة وفيها أبرز النتائج.

المبحث الأول: حقيقة التعبد وفوائده وشرفه

إن للتعبد حقيقة متى عرفها العبد استطاع أن يتحقق بها بلا تكلف ولا مشقة، ذلك أن معرفة العبد لحقيقة وجوده وملازمة العبودية له بوصف أصيل فيه يجعله يتخلق بأخلاق العبودية اللائقة في علاقته بخالقه سبحانه، ومما يزيد حرص العبد على التحقق بالعبودية الصرفة معرفته بفوائد التعبد وشرفه، وهذا ما سيتم عرضه في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: التَعبُدْ لغة واصطلاحا

العَبْدُ: "الإنسان حراً كان أو رقيقاً"[(1)] "يُذهب بذلك إلى أنه مربوب لبارئه جل وعز"[(2)]. "تقول: عَبْدٌ بَيِّن العبودة والعبودية والعَبْدية، وأصل العبودية: الخضوع والتذلل"[(3)] ... "والعابد الموحد"[(4)]... والتعبّد: التَّنسّك، والعِبادة: الطّاعة[(5)]... "والتعبّد: التذلل"[(6)]، و"المعبّد كمُعَظَّم: المُذَّلل من الطريق وغيره[(7)]".

قال الراغب : "العبوديّة: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى، ولهذا قال: {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} [يوسف: 40، الإسراء: 53]"[(8)].

والتعبُّد مرتبة عالية من مراتب المحبة، وقيل إنها فوق التتيم ولا تفوقها سوى رتبة الخلة[(9)]، وقد تناول ابن قيم الجوزية الحديث عن الحب ومراتبه في العديد من مؤلفاته[(10)] إذ بيّن أن أول مراتب المحبة هي: العلاقة ثم الإرادة ثم الصبابة ثم الغرام ثم الوداد فالشغف فالتتيم فالتعبّد فالخلّة، وعرّف كل مرتبة بشكل مفصل[(11)]. والتعبد مرتبة تصيب المخلوق في فرط حبه لمخلوق مثله كذلك، قال ابن تيمية : "فإذا كان الإنسان مشغوفا بمحبة بعض المخلوقات لغير الله _الذي يرضيه وجوده ويسخطه عدمه_ كان فيه من التعبد بقدر ذلك، ولهذا يجعلون العشق مراتب؛ مثل: العلاقة ثم الصبابة ثم الغرام، ويجعلون آخره: التتيم، والتتيم: التعبد، وتيم الله هو: عبد الله، فيصير العاشق لبعض الصور عبدا لمعشوقه"[(12)].

ومن خلال التأمل في قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً...} [الإسراء: 1] يظهر أن مرتبة العبودية أعلى مرتبة من مراتب المحبة؛ فالمصطفى صلى الله عليه وسلم حبيب الله

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ج9، ص 10، الفيروز أبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. ط 2، 1952. ج1، ص322.
(2) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص 10.
(3) المصدر ذاته، نفس الجزء والصفحة، وانظر نحوه في الجوهري، الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1ج2، ص 438. الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص 322.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص10.
(5) المصدر ذاته، ج9، ص 11، والفيروزأبادي، القاموس المحيط، ج1، ص 322-323.
(6) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص 13.
(7) الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ج1، ص 323.
(8) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 357.
(9) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، د.ط، ج3، ص29.
(10) منها كتابه: روضة المحبين، شرح فيه واحداً وخمسين اسماً من أسماء المحبة، ص 14- 31. وشرح ابن قيم الجوزية كذلك سبع مراتب للمحبة في كتابه: الجواب الكافي، ص182-191.
(11) انظر شرحه لتلك المراتب في: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3، ص 27- 31.
(12) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، ص144.

تعالى وخليله لكن الوصف الذي وصفه الله تعالى به في مقام التشريف والتكريم هو وصف العبودية، وكأنها إشارة إلى أن التحقق بالعبودية التامة هي أعلى درجة يصل إليها العبد، وقد ورد ذكر عبودية الخلق لله تعالى مئتين وثلاثا وسبعين مرة في القرآن الكريم(1) وفيه إشارة إلى وجوب تحقق العبد بعبوديته لخالقه عز وجل. وهذا لا يعني أن من تحقق بعبوديته كان أعلى رتبة من إبراهيم الخليل _عليه السلام_ بل إن إبراهيم الخليل _عليه السلام_ متحقق بالعبودية التامة وله الخلة زيادة على ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التحقق بالعبودية متفاوت بين الخلق ولا يصل أحد إلى مرتبة الخليلين عليهما السلام، وسيأتي كلام مفصل عن عظم قدر مرتبة العبودية فيما يلي بإذن الله تعالى.

أما **التعبد اصطلاحا** فالعبادة "فعل يدل على الخضوع أو التعظيم الزائدين على المتعارف بين الناس"(2). فهي كما قال ابن عثيمين: "التذلل لله عز وجل محبة وتعظيما بفعل أوامره وترك نواهيه"(3) وقد قال ابن القيم: "خاصية التعبُّد: الحب مع الخضوع، والذل للمحبوب، فمن أحب محبوباً وخضع له فقد تعبّد قلبه له"(4). فالعبودية كما بين الطبري هي: "عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تسمى الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة: معبدا... ومنه سمي العبد عبدا لذلته لمولاه"(5) ذلك أنّ "العبد هو الذي قد ملك المحبوب رِقّه فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة، بل كله عبد لمحبوبه ظاهراً وباطناً، وهذا هو حقيقة العبودية"(6). وانقياد البدن راجع إلى انقياد القلب، كما قال ابن تيمية أن "خشوع الجسد تبع لخشوع القلب"(7). فالتعبّد هو غاية الحب وغاية التذلل، يقال: عبَّدهُ الحب أي ذلّلهُ، وطريقٌ معبّدٌ بالأقدام أي مذلّل، وكذلك المحب قد ذلّلهُ الحب ووطّأه، وهذه المرتبة _مرتبة التعبد من مراتب المحبة_ لا تصلح لأحد ألبتة إلا أن تكون تعبدا من العبد لله عز وجل، ولا يغفر الله تعالى لمن أشرك في عبادته، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وعليه فإن محبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده(8). كما روي عن معاذ بن جبل _رضي الله عنه_ قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**يا مُعَاذ، أَتَدرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟**)) قالَ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعلَمُ، قَالَ: ((**أَنْيَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، أَتَدرِي مَا حَقُّهُم عَلَيهِ؟**)) قَالَ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعلَمُ، قالَ: ((**أَنْ لا يُعَذِّبَهُم**))"(9).

وقد بين ابن القيم أنه لما أن كمّل رسول الله محمد وهو سيد ولد آدم –عليهما الصلاة والسلام- هذه المرتبة وصفه الله عز وجل بها في أشرف مقاماته وهي مقام الإسراء، ومقام

(1) راجع مواضعها بأسماء السور وأرقام الآيات الكريمة في: معجم ألفاظ القرآن، لأيمن جبر.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، ج1، ص180.
(3) ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية، ص362.
(4) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، ص 182.
(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج1، ص145.
(6) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ص 38.
(7) ابن تيمية، الإيمان، دار الحديث، القاهرة، ط2، ص26.
(8) انظر: ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ص38- 39.
(9) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ك التوحيد، ب ما جاء في دعاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، مرجع سابق ، حديث رقم 7373، ص1549.

التحدي ومقام الدعوة، ففي مقام الإسراء، قال تعال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: 1]، وفي مقام التحدي قال تعالى: {وَإِنكُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} [البقرة: 23]، وفي مقام الدعوة قال تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن: 19]، وبذلك استحق المصطفى _صلى الله عليه وسلم_ التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة. كما جاء في مقام الشفاعة يوم القيامة[1]، إذ يقول عيسى _عليه السلام_ عند لجوء الخلائق إليه بعد لجوئهم إلى الأنبياء جميعاً _عليهم الصلاة والسلام_ بقصد التشفع لهم عند ربهم وبعد اعتذار الجميع لهم، يقول لهم عيسى _عليه السلام_: ((**... لَسْتُ هُنَاكُمْ، ولكن ائتوا مُحَمَّداً _صَلى الله عليه وسَلم_، عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ...**))[2].

قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية _قدّس الله روحه_ يقول: فحصلت له [أي للمصطفى صلى الله عليه وسلم] تلك المرتبة، بتكميل عبوديته لله تعالى، وكمال مغفرة الله له"[3]. ذلك أن أشرف صفات العبد هي صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله تعالى اسم العبودية، كما ثبت عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ أنه قال: ((**أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلى اللهِ: عَبْدُاللهِ وعَبْدُالرَّحْمَن**))[4]. وعليه فإن "حقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام، والخضوع للمحبوب"[5].

والعلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة (التعبد)؛ فالمعنى اللغوي المقتضي للتذلل والخضوع هو حال العابد في الاصطلاح؛ فلا يكون العبد متحققاً بعبوديته لله تعالى إلا بكمال التذلل والخضوع له سبحانه.

المطلب الثاني: فوائد التعبد وشرفه

لقد خلقنا الله تعالى في أحسن تقويم وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض واختار لنا الخلافة وإعمار الأرض، وقد كرمنا سبحانه بوظيفة ليس فيها الا الشرف والعزة؛ وهي العبودية له وحده لا شريك له، فلم يكن الإنسان عبدا لشمس أو قمر ولا لأي خلق من مخلوقات الله سبحانه، بل هو عبد لله وحده خالق كل شيء قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، وإن معرفة الإنسان غاية وجوده ووظيفته التي خلق لأجلها تجعله يتفانى في تحقيق العبودية لله بحب وإقبال دون تكاسل أو تثاقل.

---

(1) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج3، ص29، وله في: روضة المحبين، ص39.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ك التوحيد، ب قوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} [القيامة: 22-23]، ح7440، ص1563.

(3) ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج3، ص30.

(4) انظر: ابن القيم، روضة المحبين، ص39. والحديث أخرجه الترمذي في جامعه، ك الأدب، ب ما جاء ما يستحب من الأسماء، ح2833، وقال أبو عيسى الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، ص454.

(5) ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج3، ص 30.

ذلك أن للعبودية فوائد جمة من أدركها لذّت له الطاعات وطاب له الاشتغال بالعبادة، وانشغل بها عما سواها، وبيان ذلك من وجوه عدة منها: "أن الكمال محبوب بالذات، وأكمل أحوال الإنسان وأقواها في كونها سعادة اشتغاله بعبادة الله، فإنه يستنير قلبه بنور الإلهية، ويتشرف لسانه بشرف الذكر والقراءة، وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله، وهذه الأحوال أشرف المراتب الإنسانية والدرجات البشرية، فإذا كان حصول هذه الأحوال أعظم السعادات الإنسانية في الحال، وهي موجبة أيضاً لأكمل السعادات في الزمان المستقبل، فمن وقف على هذه الأحوال زال عنه ثقل الطاعات وعظمت حلاوتها في قلبه"(1).

وقد كان من تشريف سيدنا عيسى عليه السلام وصفه بالعبودية، قال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (النساء:172) قال "ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: لن يستكبر المسيح أن يكون عبد الله أي عن أو من أن يكون عبد لله تعالى مستمرا على عبادته تعالى وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية، كيف وأن ذلك أقصى مراتب الشرف، وقد أشار القاضى عياض إلى شرف العبودية بقوله : ومما زادنى عجبا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا دخولى تحت قولك : ياعبادى وجعلك خير خلقك لي نبيا"(2).

فالعبادة محبوبة للعبد لما تحققه له من كمال في الحال والاستقبال، وهي محبوبة لأنها أمانة بدليل قوله تعالى: {إِنَّاعَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَأَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: 72]، فالعبادة أمانة وأداء الأمانة واجب عقلاً وشرعاً، بدليل قوله: {إِنَّاللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...} [النساء: 58] وأداء الأمانة صفة من صفات الكمال محبوبة بالذات(3).

وفي مقام التقريب لسيدنا موسى عليه السلام قال له الله عز وجل: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (طه:14)، قال تعالى: (فاعبدنى) "قدم هذا الأمر للإشارة إلى عظم شرف العبودية، وثنى بقوله سبحانه (وأقم الصلاة لذكري) لأن الصلاة من اعلام العبودية ومعارج الحضرة القدسية"(4).

ومن فوائد العبادة أنها تنقل العبد من عالم الغرور إلى عالم السرور، ومن الاشتغال بالخلق إلى الاشتغال بعبادة الحق عز وجل، وذلك يحقق كمال اللذة للعبد(5).

وإن من شرف العبودية التعلق بالمعبود، ومنه إلى العبادة ذاتها، إذ يجدر "التنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره إلى المعبود أولا وبالذات، ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه ووصلة سنية بينه وبين الحق، فإن العارف إنما

(1) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق ، مج 1، ج1، ص 252.
(2) الآلوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج6، ص 37.
(3) انظر: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص 252- 253.
(4) الآلوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج16، ص210.
(5) انظر: المصدر ذاته، مج1، ج1، ص 253.

يحق وصوله إذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه، حتى إنه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها إلا من حيث إنها ملاحظة له ومنتسبة إليه"[1]. ولعل البعض ينكر أو يستبعد وصول العبد في تعبده لمولاه عز وجل درجة عالية يصبح فيها متلذذا بالعبودية منشغلاً بالله عما سواه، لكن ذلك ممكن بدليل حصوله بالفعل في الواقع بين الخلق أنفسهم، كقصة النسوة اللواتي قطعن أيديهن عند رؤية سيدنا يوسف _ عليه السلام_لشدة انشغالهن بجماله ونوره عما سواه وعن أنفسهن كذلك، حتى قطعن أيديهن دون أن يشعرن لفنائهن عن ذواتهن، فإذا جاز هذا في حق البشر فلأن يجوز عند استيلاء عظمة الله على القلب أولى[2].

وهذه المرتبة من العبودية يصلها العبد بالمحبة حتى يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه، وهي مرتبة الإحسان[3] التي هي أعلى مراتب الدين، فإن حقيقة الإحسان هي التحقق بالتعبد التام، فقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الإحسان بأنه: (أن تعبد الله..) فالمحسن في عبادة كله، في أكله وشربه ونومه وبيعه وشرائه وفي أحواله كلها، إذ هو مستحضر أن الله تعالى يراه في كل حركاته وسكناته، فهو عابد في عباداته وعابد في عاداته كذلك، وذلك بتوجيه النية بأن تكون عاداته خالصة لوجه الله تعالى، فيربط فعله لها برضى الله تعالى. وقد دلّت آيات كثيرة على شرف العبودية، منها ما ورد في حق بعض الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى لموسى عليه السلام: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا **فَاعْبُدْنِي**} [طه: 14]، وقوله تعالى عن أول ما نطق عيسى عليه السلام: { قَالَ إِنِّي**عَبْدُ اللَّهِ**} [مريم: 30]، وقوله تعالى في حق خاتم الأنبياء والمرسلين -صلى الله عليه وسلم-: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى **بِعَبْدِهِ** لَيْلاً..} الآية [الإسراء: 1].إذ لولا أن العبودية أشرف المقامات، وإلا لما وصفه الله بهذه الصفة في أعلى مقامات المعراج [4].

فالله تعالى هو المنعم المتفضل على الخلق جميعا، وهو المستحق لعبادته على الحقيقة والوجوب، "لأنه مولى أعظم النعم، فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع"[5]. ومن المعقول أدلة على شرف العبودية كذلك، إذ إن العبد ممكن الوجود لذاته، فلولا إيجاد الحق له لظل في ظلمة العدم، وعبودية العبد هي معنى كونه مقدور قدرة الحق ومتعلق إيجاده، فبعبوديته نال العبد الشرف والفضيلة والبهجة[6].

(1) البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ، ج1، ص29.
(2) انظر: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج 1، ج1، ص 253.
(3) انظر حديث سيدنا جبريل–عليه السلام-الطويل في سؤاله للنبي _صلى الله عليه وسلم_ عن الإسلام والإيمان والإحسان في: البخاري، صحيح البخاري، ك الإيمان، ب سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام...، ح50، ص 26. ومسلم، صحيح مسلم، ك الإيمان، ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ط1، ج8، ص33، وج9، ص34، وج10، ص35.
(4) انظر استدلال الرازي بهذه الآيات الكريمة على شرف العبودية وشرحه لها في: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص254.
(5) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص13.
(6) انظر: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص 255.

ويمكننا تقسيم فوائد العبودية التي ينالها العبد إلى أقسام:

أولا: فوائد دنيوية، ينالها العبد في دنياه قبل آخرته، وهي قسمان

1. فوائد مادية محسوسة

وتظهر فيما ينتفع به العبد بعد قيامه بالتكاليف سواء الائتمار بالأوامر أو الانتهاء عن النواهي، فإن الجسد يحتاج إلى القيام بعبادات تزوده بالصحة والعافية وتهذب من سلوكه وتقوّم من عاداته وأفعاله، فعلى سبيل المثال فإن الصلاة بما تشمل من حركات فيها صحة للبدن وتهذيب لسلوك العبد بنهيه عن الفواحش والمنكرات، قال تعالى: {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} [العنكبوت: 45]، والصيام صحة للبدن وتهذيب لأخلاق الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه] (1) فالبقيام بالعبادات تفيد العبد في حياته الدنيا، وهي ليست فوائد فردية بل فوائدها جماعية تشمل جميع المجتمع المؤمن العابد لربه، إذ قيام الناس بها يؤدي إلى شيوع الأخلاق الحميدة، فلا عدوان ولا نفاق ولا أذى، بل إحسان وصدق وخير وتخلق بالفضائل وترك للرذائل.

2. فوائد معنوية

تتجلى الفوائد المعنوية للعبودية بالشعور الداخلي بالشرف والعزة والكرامة، فلا يعبد الإنسان شمسا ولا قمرا ولا أي مخلوق لله تعالى، بل يعبد خالق كل شيء، ومن الفوائد المعنوية تكميل الإنسان نفسه، والكمال محبوب لذاته، ولا كمال للإنسان إلا بقيامه بالوظيفة التي خلق لأجلها وهي التحقق بالعبودية لله وحده لا شريك له، وفيها الاقتداء بخير الناس جميعا وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين لم يستكبروا عن عبادته بل كانوا يتشرفون ويتلذذون بعبادة الله تعالى وحده، ومن فوائد العبودية أيضا إدراك العبد لحقيقة الحياة وأنها زائلة وأن الآخرة هي الحياة الحقيقة فكلما أدى الصلاة ووقف بين يدي الله تعالى أيقن أنه لله وأنه راجع إليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فبذلك يتخلص المؤمن من أمراض القلوب من عجب وكبر وغرور، ويتخلص كذلك من الشعور بالقلق أو الخوف، فمعرفته لغايته من الوجود يخلصه من منغصات القلوب فلا يكون إلا راضيا مطمئنا قال تعالى: { ألا بذكر الله تطمئن القولب} [الرعد:28].

ثانيا: فوائد أخروية

إن للعبادة فوائد جمة يرجوها العبد عند الله تعالى، فقيامه بالتكاليف (ائتماراً بالأوامر وانتهاءً عن النواهي) يثمر له رضى الله تعالى عنه، فإذا رضي عنه أرضاه، وأدخله جنة عرضها السماوات والأرض أعدها سبحانه للمتقين، فالعابد منتفع بعبادته نفعا أبديا إن هو أخلص لله تعالى والتزم شريعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وغلبت حسناته على سيئاته.

(1) اخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1903.

وبذلك يتشرف الإنسان بتحققه بالعبوديه لله تعالى وحده، فليس عبدا للدينار ولا للدرهم ولا لهوى نفسه، بل هو عبد الله تعالى وحده لا شريك له، فتثمر له هذه العبادة منافع دنيوية مادية ومعنوية فردية وجماعية، كما تثمر له رضى المولى عز وجل وخلودا في جنة عرضها السماوات والأرض بفضل الله تعالى وكرمه.

المبحث الثاني: علاقة التعبد بالتوحيد

إنّ أساس علاقة العبد بربه هي التحقق بالعبودية، قال تعالى: {وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]، وإن المتعبد يترقى بعبوديته إلى أن تصبح علاقته بربه علاقة محبة بعبودية صرفة، عندها لا يشعر العبد بثقل التكاليف بل يشعر بالتشريف من التكليف، قال تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌإِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} [سورة البقرة، آية45]، وصفات هؤلاء الخاشعين هي أنهم: {الَّذِينَيَظُنُّونَأَنَّهُممُّلَاقُورَبِّهِمْوَأَنَّهُمْإِلَيْهِرَاجِعُونَ} [سورة البقرة، آية 46]، فالآية تشير إلى علاقة التعبد بالإيمان ورسوخه في قلب المؤمن، إذ كلما رسخ الإيمان رفعت المشقة وتلذذ العبد بالعبادة.

فالعبودية بما تشمله من ذلة وافتقار خير صفة إذا تحقق بها العبد تقرب إلى ربه وتحقق بكمال التوحيد، فهي صفة أصيلة للعبد، ولذا كان أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد؛ لأنه في هذه الحالة يكون في قمة الذلة والانكسار والخضوع لله تعالى، فإن العبد في هذه الحالة لا يمتلك إلاّ ذله وافتقاره ليتقرب بهما إلى معبوده، وكلما أمعن في ذله وافتقاره زاد قبول خالقه له، وعندئذ تكون النتيجة بأن يكرمه الله بمرتبة المحبوبية التي فيها يبشره الله بقوله: ((**كُنْتُ سَمْعَهُ.. وَبَصَرَهُ.. وَيَدَهُ.. وَرِجْلَهُ..**)) الحديث[1].

فتبين مما سبق أن الوسيلة الفضلى في طلب القرب هي التعبد، أي التحقق بالصفات الذاتية في العبد؛ وهي صفات الذل والافتقار التي تعني تحقق العبودية، فكلما تحقق العبد بأوصافه الأصيلة والذاتية فيه من ذلة وعجز وضعف ونحو ذلك مما تقتضيه العبودية فإن الله تبارك وتعالى يمد ذلك العبد بأوصافه الذاتية من عز وقدرة وحول وقوة إلى غير ذلك متحققا بـ(كنت سمعه وكنت بصره..).

هذا وإن هناك علاقة بين التوحيد والتعبد (الذي هو كمال الحب والخضوع)، فالملاحظ أن الدعوة إلى عبادة الله تعالى مقرونة دائما بتوحيده والنهي عن الشرك به، كما جاء في قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ **أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**..} الآية [الإسراء: 23]، وقوله تعالى: {وَعَدَاللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمفِي الْأَرْضِ ...} إلى قوله تعالى: {**... يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ** بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَفَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: 55].

(1) الحديث القدسي هو: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تَقَرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ك الرقاق، ب التواضع، ح6502، ص1185.

قال ابن تيمية: "وإذا كان أصل الإيمان العملي هو حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحب الله أصل التوحيد العملي، وهو أصل التأليه، الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن العبادة أصلها أكمل أنواع المحبة، مع أكمل أنواع الخضوع، وهذا هو الإسلام"(1).

فالعبادة المقبولة هي ما كانت بلا إشراك، قال تعالى: {لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً} ؛وكلمة (شيئا) شاملة لكل شيء، سواء كان إشراكاً في العمل أم في الحب، والأمثلة على الدعوة إلىالعبادة لله وحده لا شريك له كثيرة جداً، وإن فاتحة الكتاب أكدت على التوحيد المحض وحصر العبادة لله تعالى، قال تعالى في سورة الفاتحة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}[الفاتحة: 5]، ذلك أن "قولك (إياك نعبد) يدل على أنه لا معبود إلا الله، ومتى كان الأمر كذلك ثبت أنه لا إله إلا الله، فقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] يدل على التوحيد المحض"(2).

وقد قال الطبري: "(اياك نعبد): لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، إقرارا لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك"(3) ونقل عن ابن عباس مرفوعا: (اياك نعبد): "إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك"(4).

وفي تقديم قوله(إياك) على (نعبد): "قصر العبادة على ذاته الكريمة، لأنه لو قال (نعبدك وحدك) فهي لا تؤدي نفس المعنى؛ لأنه قد يقول قائل: نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا، ولكن إذا قلت (إياك نعبد) وقدمت(إياك) تكون قد حسمت الأمر بأن العبادة لله وحده... فالعبادة خضوع لله سبحانه وتعالى بمنهجه افعل ولا تفعل"(5) وقد أشار الغزالي إلى العلاقة الوثيقة بين التوحيد والمحبة إذ قال: "... معنى قولك (لا إله الا الله) أي لا معبود ولا محبوب سواه"(6).

لذا فإن إقرار المشركين بكون الله تعالى هو الخالق لا يكفي، إذ لا بد من توحيد الإلهية، قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: 9] فتوحيد الإلهية يقتضي توحيد التعبد لله تعالى وحده دون إشراك أحد في ذلك، فالتعبد كمال الحب وكمال الخضوع ولن يتحقق هذا الكمال إن تعددت الآلهة المعبودة من دون الله أو معه. قال ابن تيمية: "والإلهية المذكورة في كتاب الله هي العبادة والتأله"(7).

لذا جاء في شرح (لا إله الا الله): "إن لكل إنسان قلبا واحدا، وهو لا يتسع لشيئين دفعة واحدة، فبقدر ما يبقى مشغولا بأحد الشيئين يبقى محروما عن الشيء الثاني، فقوله: (لا إله)

---

(1) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، ص133.
(2) الرازي، التفسير الكبير، مج1، ج1، ص248.
(3) الطبري، جامع البيان، ج1، ص144.
(4) المصدر ذاته، ج1، ص145. ولكن ابن كثير ذكره في تفسيره موقوفاًعلى ابن عباس رضي الله عنهما ج، 1، ص57.
(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج1، ص76.
(6) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، ص334.
(7) ابن تيمية، قاعدة في المحبة، ص75.

إخراج لكل ما سوى الله عن القلب، حتى إذا صار خاليا عن كل ما سوى الله، ثم حضر فيه سلطان (إلا الله) أشرق نوره إشراقا تاما، وكمل لمعانيه فيه كمالا ظاهرا"(1).

وقد قال تعالى: { مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب:4]فمن عبد مع الله شيئا ولم يفرده بالتوحيد فعبادته غير مقبولة، فإن كان التعبد هو كمال الحب مع كمال الخضوع فلا يتسع القلب لمعبودين في آنٍ واحد، لذا نرى ضلال النصارى في شركهم بالله وتعدد المحبوبين والمألوهين عندهم، فالقلب إذا استغرق في حب أحد ما فإنه يلغي ما سواه، ويجعل كل محبوب ومصحوب في المرتبة الثانية بعد محبوبه الأول، لذا فالآية تصرح بضرورة ترتيب الأولويات في الحب فقد قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: 24] فالآية لا تمنع العبد من محبوباته الفطرية، لكنها توجهه إلى الترتيب الصحيح لأولوياته في الحياة، بحيث يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيله المحبوب الأول في حياته، ومن ثم يسخر محبوباته الأخرى في خدمة تلك الأولوية في حياته.

فالتعبد إن تحقق بكمال الحب وكمال الخضوع فلن يتصور فيه الشرك بل هو توحيد كله، توحيد التعلق وتوحيد التوجه وتوحيد العمل وتوحيد المأمول،إذ تكتمل أوجه التوحيد كلها في فعل التعبد الحق إذا فقه العبد معنى التعبد وتحقق به سلوكا عمليا دون شرك بالله عز وجل.

هذا وإن الأمر بالفرار إلى الله تعالى في قوله: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الذاريات:50] هو أمر بالتوحيد؛ إذ إنه فرار إلى الله من كل ما سواه، وإقبال عليه وحده لا شريك له. وعليه فإن العبودية الحقة تقتضي توحيد المعبود سواء في أعمال العبادة أم في المحبة، في الظاهر أم في الباطن، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162]؛ ذلك أن المحبة عبودية لما فيها من خضوع وتذلل واستسلام للمحبوب، لذا فقد بيّن الله تعالى ضلال من يتبع هواه، لأن متابعة محبوبات النفس تعد عبادة لها، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} [الفرقان: 43]، فإن طاعة الشيء عبادة له، ومن تابع هواه وترك هداه فهو عابد للهوى كما يعبد الرجل إلهه(2)، والله تعالى لا يقبل أن يشرك به لا في الاتباع ولا في المحبة، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ **أَندَاداً** يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ}"[البقرة: 165]، واختلف في المراد **ب{الأنداد}** في هذه الآية الكريمة على أقوال عديدة(3)، أما قوله تعالى: { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ} [البقرة: 165]، فلا يراد منه محبة ذواتهم، ولا بد من محذوف تقديره: يحبون عادتهم أو التقرب إليهم والانقياد لهم أو

---

(1) الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص129-130.

(2) انظر تفسير قوله تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } [الفرقان: 43] وقوله {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: 23] وشروحهما في: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 282، وج4، ص 291. الرازي، التفسير الكبير، مج12، ج24، ص86، ومج14، ج27، ص269. الآلوسي، روح المعاني، ج19، ص23، وج25، ص152.

(3) انظر تلك الأقوال في: الرازي، التفسير الكبير، مج 2، ج4، ص225-226.

جميع ذلك، وقوله (كحب الله) فيه ثلاثة أقوال وهي: القول الأول: كحبهم لله، والثاني: كالحب اللازم عليهم لله، والثالث: كحب المؤمنين لله، فكأنه تعالى بيّن في الآية السابقة وهي { إِنَّ فِي خَلْقِالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...} الآية [البقرة: 164] أن الإله واحد، ونبّه على دلائله، ثم حكى قول من يشرك معه، وذلك يقتضي كونهم مقرين بالله تعالى[1]. فبيّن الله تعالى أنه لا يقبل أن يُشرك به ولا حتى في المحبة؛ لأن المحب لمن يحب مطيع ومحبتهم لغير الله تعالى ستقودهم إلى اتباع غير الله، فقوله { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ} " الذي له الجلال والإكرام بأن يفعلوا معهم الطاعة والتعظيم فعل المحب كما يفعل من ذلك مع الله الذي لا عظيم غيره"[2].

فالعلاقة متينة بين المحبة والعبادة، فالعبد مأمور بعبودية خالصة عن الشرك وتعظيم وثناء لله وحده، ورجاء فيه وخوف منه وحده لا شريك له، ومن تحقق بذلك فقد أثبت محبته لله تعالى وتكون محبته أشد، فمن وحّد في عبادته وحّد في محبته.

وكلما كانت المعرفة بالمحبوب أتم كانت محبته أشد، فالمحبون لغير الله تعالى يدركون معرفة متوهمة في محبوباتهم تدعوهم تلك المعرفة إلى توهم استحقاق محبوباتهم للحب، ولو أنهم عرفوا أن الله تعالى هوالمستحق للمحبة لما قبلوا بغيره محبوباً، لأن أسباب المحبة كلها مجتمعة في حق الله تعالى، فلا محبوب على الحقيقة والاستحقاق إلا الله عز وجل. وعليه فإن المؤمنين أشد حباً لله تعالى من غيرهم، والمحبة تستلزم توحيد المحبوب.

وقد جاء الارتباط بين الردة ومحبة غير الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى: {... يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيالله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...} الآية [المائدة: 54]، فقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد النهي عن موالاة اليهود والنصارى، وهذه دعوة إلى توحيد المحبوب، ذلك أن الموالاة تستدعي المحبة، فمن والى أعداء الله فقد ارتد عن دينه، ويأتي الله تعالى بقوم يحبهم ويحبونه فلا يحبون ولا يوالون إلا لله وفي الله، وهذا هو توحيد المحبة.

ويجدر التنبه إلى أن الله تعالى قال: "بقوم يحبهم ويحبونه" ولم يقل: "ويعبدونه" لأن التعبد هو كمال المحبة مع كمال الخضوع كما مرّ.

والآية مبشرة للمؤمنين إذ يُعلم منها أنه من لا يرتد عن دينه فإن الله يحبه، كما تشير إلى أن غير المرتد يجب أن يكون محبّاً لله تعالى.

فالمنافقون كانوا يؤدون عبادات أمام الناس، فهم يقومون بحركات خاوية لا روح فيها لخلوها من الحب لله والإيمان القلبي الذي هو أساس قبول العمل، فيحسبون انهم يحسنون صنعا وإذ بأعمالهم تذهب هباءً منثورا.

في حين –وبالمقابل- نجد أن من امتلأ قلبه بالإيمانبالله تعالى وبمحبته فإنه إن وقع في بعض المعاصي فإنه يبقى في دائرة الرحمة الإلهية، ولا يقنط من روح الله، ولا تكون معصيته سبباً في

(1) انظر: المصدر ذاته مج 2، ج4، ص226.
(2) البقاعي، نظم الدرر، ج1، ص299.

نفي محبته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومثال على ذلك "أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [1].

ومما سبق تبين أن العلاقة قويةوالارتباط وثيق بين التوحيد والمحبة، وبين العبودية والمحبة، فالله تعالى لا يقبل الشرك به لا عبادةً ولا محبةً.

المبحث الثالث: أنواع العباد والعبادة ودرجاتها (مراتبها)

إن للعباد والعبادة مراتب عدة، فالعباد يتفاوتون فيما بينهم في مدى تحققهم بالعبودية، وتتفاوت درجات عبادتهم لمعبودهم، كلٌّ حسب مرتبته في قربه أو بعده عن معبوده، وقد اختلفت آراء العلماء في الحكم على أنواع العبادة المتعددة، وهو ما سيتضح في المطالب الآتية.

المطلب الأول: أنواع العبادة والعباد

إن للعبادة والعباد أنواعا ومراتب شتى قد بيّنها العلماء، ومن ذلك ما بيّنه الراغب الأصفهاني من أن العبادة ضربان: عبادة بالتسخير وعبادة بالاختيار، والضرب الثاني يختص بذوي النطق وهي المأمور بها في نحو قوله تعالى: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [البقرة: 21]، [الحج: 77][2].

والعبد يطلق على أضرب[3]:

الأول: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يباع ويشترى نحو {الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ} [البقرة: 178].

الثاني: عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا لله، أي لا يكون العبد بهذا المعنى إلا عبداً لله وحده، وإياه قصد بقوله تعالى: {إنكُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً} [مريم: 93].

والثالث: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان: الأول: عبد لله مخلصاً، وهو المقصود بنحو قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً} [الفرقان: 63]، وقوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا} [الكهف: 65]، والثاني: عبد للدنيا وأعراضها، وهو

(1) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (6780).
(2) انظر: الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص357.
(3) انظر: المصدر ذاته، مرجع سابق، ص 357 -358.

المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وهو من قصده النبي _صلى الله عليه وسلم_ بقوله: ((**تَعِسَ عَبدُ الْدينَارِ والدِّرْهَمِ والقَطِيفَةِ، والخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**))[1].

وقد جاء في القرآن الكريم تصريح بخضوع كل الكائنات لربهم عز وجل إما طوعاً أو كرهاً، قال تعالى: {وَلِلهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاًوَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}[2]، وقال تعالى: {ثُمَّاسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَاطَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت: 11]، وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِيالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: 33]. والمقصود بالإسلام الوارد في قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِيالسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: 33] : هو الاستسلام والانقياد، وهو معنى التعبد بما فيه من خضوع وتذلل.

فالعبودية إما: أن تكون كرهاً وذلك بالانقياد التسخيري لله تعالى، وهذه العبودية لا يكون فيها حب لأنها عبودية اضطرارية لا اختيارية، وإما أن تكون العبودية طوعاً فيكون الانقياد فيها اختياري بتوفيق من الله عز وجل، وهي العبودية النابعة من المحبة والمقترنة بها، فالخلق جميعهم منقادون لله تعالى إلا أنّ من أدرك عبودية نفسه قام بحقها فكان محباً لله تعالى وأسلم له طوعاً، ومن لم يدرك عبودية نفسه لم يقم بحقها فكان مبغضاً وأسلم لله تعالى كرهاً. ذلك أن الإسلام يعني الانقياد والاستسلام وهو معنى الحب، فالمحب منقاد لحبيبه مستسلم له، وهذا الانقياد إن كان طوعاً فهو انقياد بالحب، وإن كان كرهاً فهو مجرد انقياد، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: درجات العبادة(مراتبها) والحكم على صحتها

إنّ أساس العلاقة بين العبد وربه هي عبودية العبد للرب، وهذه العبودية إما أن تكون كرهاً -كعبودية الكفار مثلاً- أو أن تكون طوعاً، ويمكن تقسيم العبودية طوعاً إلى ثلاثة أقسام:

قسم يقصد بها: نيل الثواب أو التوقي من العقاب. وقسم يقصد به: عبادة الله تشرفا بعبادته أو بقبول تكاليفه أو الانتساب إليه تعالى، وقسم يقصد به: عبادة الله حباً له لأنه يستحق العبادة. والقسم الثالث يتحقق فيه التعبد وعبودية المحبة، وهي أعلى المراتب.قال ابن عاشور "والمرتبة الثالثة هي التي أشار لها قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له كيف تجهد نفسك في العبادة وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال [أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً][3]؛ لأن من الظاهر أن

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، ك الجهاد والسير، ب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح2886، ص608، وفيه كذلك في ك الرقاق، ب ما يتقى من فتنة المال، ح6435، ص1370. و(القطيفة) هي الثوب الذي له خمل، و(الخميصة) هي الكساء المربع. انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج3، ص355.

(2) سورة الرعد، الآية 15. وانظر تفسير معنى السجود والطوع والكره في: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج10، ج19، ص31.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ك صفة القيامة والجنة والنار، ب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم 5175.

الشكر هنا على نعمةٍ قد حصلت، فليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد؛ لأن الغفران العام قد حصل له، فصار الشكر لأجل المشكور لا غير، وتمحض أنه لا لخوف ولا طمع"(1)

كذلك فإن للعبادة تقسيم آخر قريب وهو أنها ثلاث درجات(2):

الدرجة الأولى: أن يعبد الله طمعاً في الثواب أو هرباً من العقاب، وهذا هو المسمى بالعبادة، وقال بعض العلماء عن هذه الدرجة بأنها نازلة جداً؛ لأن معبوده في الحقيقة هو ذلك الثواب، وقد جعل الحق وسيلة إلى نيل المطلوب.

والدرجة الثانية: أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته أو يتشرف بقبول تكاليفه، أو يتشرف بالانتساب إليه، وهذه الدرجة أعلى من الأولى إلا أنها أيضاً ليست كاملة عند بعض العلماء، لأن المقصود بالذات غير الله وإنما نيل الشرف.

والدرجة الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً، ولكونه عبداً له، والإلهية توجب الهيبة والعزة، والعبودية توجب الخضوع والذلة، وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات، وهذا المسمى بالعبودية، وإليه الإشارة بقول المصلي في أول الصلاة: (أصلي لله)، فإنه لو قال: (أصلي لثواب الله، أو للهروب من عقابه) فسدت صلاته.

وعليه فإن طرق عبادة العبد لله تعالى ومراتبهم في العبادة متفاوتة، وتفاوتت كذلك آراء العلماء في الحكم على مدى صحة تلك المراتب.

ولكن هل تصح عبادة الخائف والطامع؟

بداية لا بد من تمهيد قبل نقل آراء العلماء في هذه المسألة، فإن لبعض العلماء رأيا في هذه المسألة لا يصح إطلاع العوام عليها لمظنة سوء فهمهم لمراد العلماء؛ لذا يُكتفى بذكرها في مجالس العلم الخاصة لحاجتها إلى البيان والتفصيل، ولا تنقل إلى عوام الناس.

ذلك أننا مأمورون أن نخاطب الناس على قدر عقولهم مخافة ألا يفهموا فيضلوا، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبّون أن يكذَّب الله ورسوله"(3).

ومما يؤكد صحة تخصيص بعض العلم لأهله دون أن يعد ذلك كتمانا له ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "(**مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشرِك بِهِ شَيئاً دَخَلَ**

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص181.
(2) انظر: الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص253- 254.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن ابي طالب، ك العلم، ب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، مرجع سابق، ص46.

الجنَّةَ))، قال: ألا أبشر الناس؟ قال: ((**لا، إنِّي أخَافُ أن يَتَّكِلُوا**))"[1] وقد ترجم له البخاري باسم (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) ففقه منه البخاري صحةَ تخصيص العلم بمن هو أهله، والله تعالى أعلم.

وقد قال النووي في شرحه لهذا الحديث الشريف: "... وفيه جواز إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة..."[2]

فإذا كان الإمساك عن التحدث ببعض ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مطلوباً أمام من يخشى عليه الأخذ بظاهر ذلك مما يوهم، فمن باب أولى أن يكون الإمساك عن التحدث ببعض كلام العلماء الذي يوهم ظاهره الالتباس أمام العامة مطلوباً كذلك. ولذا قيل: لكل مقام مقال، ولكل علم رجال، وليس كل ما يعلم يقال.

ورجوعا إلى رأي العلماء في الحكم على مراتب العبادة، ذلك أن "المتكلمين اتفقوا على أن من عبد ودعا لأجل الخوف من العقاب والطمع في الثواب لم تصح عبادته"[3] ويرجع حكم المتكلمين بعدم صحة عبادة الخائف من العقاب والطامع في الثواب إلى فهمهم لوجه وجوب العبادة، فأهل السنة وجبت التكاليف عندهم بمقتضى الإلهية والعبودية، والمعتزلة وجبت التكاليف برأيهم عقلا وفق التحسين والتقبيح العقليين.

يقول القاضي عبد الجبار: "واعلم أن النهي الوارد عن الله عز وجل يكشف عن قبح القبيح لا أنه يوجب قبحه، وكذلك الأمر يكشف عن حسنه لا أنه يوجبه"[4] فالموجب عند المعتزلة هو العقل بناء على تحسينه وتقبيحه للأشياء، ولذا قال القاضي عبد الجبار عن وجه وجوب الصلاة في قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة} [البقرة:43]: "لا وجه إلا كونها صلاحا لنا ولطفا، ويكون ذلك داخلا في قبيل دفع الضرر"[5]

فالمتكلمون في وجه وجوب التكاليف فريقان: "منهم من قال: التكاليف إنما وردت بمقتضى الإلهية والعبودية، فكونه إلهاً لنا وكوننا عبيداً له يقتضي أن يحسن منه أن يأمر عبيده بما شاء كيف شاء، فلا يعتبر منه كونه في نفسه صلاحاً وحسنا، وهذا قول أهل السنة، ومنهم من قال: التكاليف إنما وردت لكونها في أنفسها مصالح، وهذا هو قول المعتزلة"[6].

---

(1) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، ك العلم، ب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لايفهموا، ح129، ص46، وبنحوه مطولاً فيه، نفس ك وب، ح128، ص46. وفي صحيح مسلم، ك الإيمان، ب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحُرِّم على النار، مرجع سابق، ح32، ص46-47.

(2) النووي، المنهاج، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، ص141.

(3) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج7، ج14، ص140.

(4) القاضي عبد الجبار، المجموع في المحيط بالتكليف، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت، ج1، ص255-256 وانظر تفاصيل كلامه في إبطاله لقولهم في وجوه القبح والحسن في المصدر ذاته ج1 ص253-256.

(5) المصدر ذاته، مرجع سابق، ج1، ص242، وفي المصدر ذاته فصل في الواجب ووجه وجوبه وما ينقل بذلك، ج1، ص242

(6) المصدر ذاته، مرجع سابق، مج7، ج14، ص140-141.

وإذا كان وجه وجوب التكاليف هو ما ذكر فمن أتاها على وجهها فعبادته صحيحه، أما من أتاها خوفا من العقاب، أو طمعا في الثواب فقط فإنه لم يؤتها على وجهها، وبالتالي لا تصح عبادته وفق رأي المتكلمين.

إذ على القول الأول_أي قول أهل السنة_ فإن وجه وجوب بعض الأعمال وحرمة بعضها مجرد أمر الله بما أوجبه ونهيه عما حرمه، فمن أتى بهذه العبادات صحت، أما من أتى بها لمحض الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب، وجب أن لا يصح، لأنه ما أتى بها لأجل وجه وجوبها.

وأما على القول الثاني_ أي قول المعتزلة_ فوجه وجوبها هو كونها في أنفسها مصالح، فمن أتى بها لمحض الخوف من العقاب، أو الطمع في الثواب فلم يأت بها لوجه وجوبها، فوجب أن لا تصح، وبالتالي فإن من أتى بالدعاء وسائر العبادات لأجل الخوف من العقاب والطمع في الثواب وجب أن لا يصح منه كل ذلك على حسب القولين السابقين[1].

ولكن يرد هنا بعض التساؤلات منها: أنه إذا كانت عبادة الله تعالى خوفا من عقابه أو طمعا في ثوابه لا تصح _برأي المتكلمين _ فكيف نفهم قوله تعالى {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً} [الأعراف: 56]؟

وقد تنبه أصحاب هذا الرأي إلى مثل هذا السؤال بالقول: "إذا ثبت هذا فنقول: ظاهر قوله {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً} [الأعراف: 56] يقتضي أنه تعالى أمر المكلف بأن يأتي بالدعاء لهذا الغرض، وقد ثبت بالدليل فساده، فكيف طريق التوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين ما ذكرناه من المعقول؟ والجواب: ليس المراد من الآية ما ظننتم، بل المراد: وادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء، ومع الطمع في حصول تلك الشرائط بأسرها، وعلى هذا التقدير فالسؤال زائل"[2].

وقد يؤكد ذلك أنّ الآية لم يأت فيها (وادعوه خوفاً من عقابه وطمعا في ثوابه) بل قال تعالى: {وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً}، أما خوفاً من ماذا؟ وطمعا في ماذا؟ فإن جوابه يفهم من روح الإسلام وحقيقة العبودية.

ويرِدُ تساؤل آخر هنا وهو: "هل تدل هذه الآية على أن الداعي لا بد وأن يحصل في قلبه هذا الخوف والطمع؟"[3]. الجواب: أجل، لا بد من هذا الخوف وهذا الطمع، إذ لا نقطع بتحقق جميع الشرائط المعتبرة في قبول الدعاء ولا بعدم تحققها ألبتة. فالعبد لا يمكنه أن يقطع بكونه آتيا بجميع الشرائط المعتبرة في قبول الدعاء، ولأجل هذا المعنى يحصل الخوف، وأيضا لا يقطع بأن تلك الشرائط مفقودة فوجب كونه طامعاً في قبولها، فلا جرم قلنا: بأن الداعي لا يكون داعيا إلا إذا كان كذلك، فقوله {خَوْفاً وَطَمَعاً} أي أن تكونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء

(1) انظر: المصدر ذاته ، مرجع سابق، مج7، ج14، ص141.
(2) المصدر ذاته، مرجع سابق، مج7، ج14، ص141.
(3) المصدر ذاته، مرجع سابق، مج7، ج14، ص141.

في كل أعمالكم، ولا تقطعوا أنكم وإن اجتهدتم فقد أديتم حق ربكم، ويتأكد هذا بقوله {يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: 60](1).

وعن هؤلاء سألت السيدة عائشة: "أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ! وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ"(2)

وتجدر الإشارة إلى أن ما ورد في القرآن الكريم عن دعاء الله تعالى خوفا وطمعاً(3) ورغبا ورهبا كان في سياق المدح لا الذم: ففي سورة الأعراف قال الله تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: 55-56].

وفي سورة السجدة قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 15-17].

وفي سورة الأنبياء قال الله تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: 89-90].

والمتأمل في سياق هذه الآيات الكريمة يلاحظ أنها كانت في سياق المدح لا الذم، مما يشير إلى أن عبادة الله تعالى خوفا وطمعاً ورغبا ورهبا ليس مذموماً بل على العكس، ففي سورة الأعراف ختمت آية الدعاء خوفا وطمعا بالرحمة الإلهية، وأنها قريبة من المحسنين الذين يدعون ربهم خوفا وطمعا، وفي سورة السجدة بينت الآيات الكريمة صفات المؤمنين على سبيل الثناء عليهم، ومن تلك الصفات أنهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، ثم ذكرت الآيات الكريمة الثواب العظيم الذي سيناله المؤمنون لتحققهم بالصفات المذكورة وهو {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فهو نص مصرحبعظم ثواب المؤمنين، وفي سورة الأنبياء كان سياق الآيات السابقة في الثناء على أنبياء الله تعالى وتكريمهم، ثم جاء فيها استجابة الله تعالى لدعاء نبيه زكريا عليه السلام مع الثناء عليه وعلى أهله بأنهم كانوا يدعون الله تعالى رغبا ورهبا.

---

(1) انظر: المصدر ذاته، مرجع سابق، مج7، ج14، ص141.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة المؤمنون، حديث رقم 3175.

(3) ذكر الخوف والطمع في موضعين آخرين في القرآن الكريم ولكن ليس في سياق الدعاء والعبادة بل في سياق الكلام عن آيات الله تعالى ونعمه، والموضعان هما: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} [الرعد: 12]، وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم: 24].

وبذلك وجَّه المتكلمون الآيات التي تذكر عبادة الله خوفا وطمعا بأنها خوف من التقصير أو طمع في القبول والكمال، أو خوف هيبة وطمع رجاء، خاصة أن الآيات لم تصرح بالخوف من ماذا، والطمع في ماذا.

أما المحققون من العلماء فيرون أن مراتب العبادة الثلاث كلها صحيحة ومقبولة بإذن الله تعالى، وإن كانت المرتبة الأخيرة وهي عبادته حبا واستحقاقا هي أعلى مراتب العبادة، وهي تشتمل في ثناياها على عبادة الخوف والطمع تحقيقا لمراد المحبوب الذي أراد من العبد أن يخاف وأن يطمع، فالفرق بين أصحاب المراتب الثلاث هو في النية بينهم، فأصحاب المرتبتين الأولى والثانية نيتهم متعلقة بطلب ثواب أو بتوقي عقاب، ونية أصحاب المرتبة الثالثة هو في تحقيق مراد إلههم المحبوب؛ فلأنهم عبدوه حبا طمعوا فيما رغّبهم فيه وخافوا مما خوفهم منه، فمقصودهم في كل حين هو معبودهم وما يوافق مراده سبحانه.

وإذا كانت عبادة الله تعالى خوفاً وطمعا ممدوحة كما جاء ذكرها في الآيات الكريمة السابقة الذكر، فكيف عدّ المتكلمون هذه العبادة عبادة غير صحيحة، وعدّها المحققون عبادة صحيحة ولكن مرتبتها نازلة؟

الجواب على ذلك_والله أعلم_: أن ما قصده المتكلمون هو أن تكون غاية العبد من عبادته لله تعالى خوفاً محضا من عقابه أو طمعا محضا في ثوابه، أي ليس على سبيل الائتمار بالأمر الإلهي وهو وجه وجوب العبادة، ففي هذا المقصد تكون مثل هذه العبادة غير صحيحة، والله تعالى أعلم.

أما كيف يمكن أن يعبد العبد إلهه خوفا وطمعا وليس ائتمارا، فهو حاصل عند البعض بالفعل، إذ يعبد البعض إلههم لا لعة الاستجابة للأمر ذاته، وإنما مخافة العقوبة أو للرغبة في الإثابة، فالفرق يكون بين العباد في نيتهم أثناء القيام بالعبادة، ففي الظاهر يتشابهون في تطبيق العبادة (فعلا للأوامر وتركا للمنهيات) لكن الذي يميز بينهم مقصودهم الداخلي عند تلبسهم بالعبادة؛ فمنهم من يقوم بها لمحض الخوف أو لمحض الطمع، ومنهم من يقوم بها لمحض الاستسلام والخضوع والانقياد التام للأمر الإلهي.

فالأصل أن يقوم العبد بالتكاليف بمقتضى الإلهية والعبودية، فلو لم يكن هناك جنة ولا نار لوجب عليه أن يطيع ربه، فيأتمر بما أمره وينتهي عما نهاه، أما وقد أثبت الله تعالى ثواباً للمطيع وعقاباً للعاصي فإنه بعد أن يقصد العبد طاعة الله تعالى مع إدراكه ما تقتضيه الإلهية والعبودية فبعد هذه المرتبة الواجب تحققها عند كل عبد لأجل أن تصح عبادته ابتداءً فإنه بعد ذلك ينقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: عابد لربه خوفاً من عقابه، وعابد لربه طمعا في ثوابه، وعابد لربه محبة له واستحقاقاً، والله تعالى أعلم.

وعليه يمكن القول إن عبادة الله تعالى خوفاً من ناره أو طمعاً في جنته هي عبادة صحيحة بإذن الله تعالى لكنها ناقصة، والأكمل والأعلى منها عبادة الله حبّاً له واستحقاقاً لربوبيته، وفيها يكون الخوف هيبة لله لا خوفاً من النار، والرجاء ثقة بالله لا طمعاً في الجنة. ويكون ذكر العبد

لربه ذكر لله تعالى وحده فلا تثقل عبادته على العبد بل يستلذ فيها، فإذا أصابته سراء تذكر المنعم فشكر، وإذا أصابته ضراء تذكر المُبتَلي فصبر، وقد قال النبي _صلى الله عليه وسلم_: ((**عَجَباً لأمْرِ المُؤمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلهُ خَير، وَلَيسَذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلمُؤمِنِ، فَإِن أَصَابَتْهُ سَرّاء شَكَر فَكَانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيراً لَهُ**))[1]، فشغل المؤمن المحب لله تعالى على الدوام هو شغل بالله ولله وحده.

وقد "قال بعض المحققين: من كان نظره في وقت النعمة إلى المنعم لا إلى النعمة كان نظره في وقت البلاء إلى المبتلي لا إلى البلاء، وحينئذ يكون غرقاً في كل الأحوال في معرفة الحق سبحانه، وكل من كان كذلك كان أبداً في أعلى مراتب السعادات"[2].

هذا حال من عبد الله كأنه يراه؛ أي من وصل مرتبة الإحسان في الدين فاستشعر مراقبة الله تعالى له ومعيته له على الدوام، أما من لم يصل إلى تلك المرتبة فإنه ينظر إلى النعمة لا إلى المنعم وإلى البلاء لا إلى المبتلي، فتشق عليه العبادة وينشغل على الدوام بغير الله تعالى، ولهذا التحقيق قال الله تعالى لأمّة موسى عليه السلام: {اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ} [البقرة:40، 47] وقال لأمّة محمد عليه السلام: { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة:152][3].

وهذه إشارة لطيفة إلى ذكر الله تعالى وعبادته حبّا له واستحقاقاً لربوبيته دون النظر إلى النعمة والبلاء، ذلك أن الذكر أشرف مقامات العبد، وأفضل الأذكار ذكر الله ثناءً وحبّا لا سؤالاً وطلباً "قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: ((**إذا ذَكَرَنِي عَبدِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي، وإذا ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلأٍخَيرٍ مِن مَلَئِهِ**))[4] وإذا ثبت هذا فنقول: أفضل الأذكار ذكر الله بالثناء الخالي عن السؤال، قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى: ((**مَن شَغَلَهُ ذِكرِي عَن مَسأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعطِي السَّائِلِين**))[5]"[6].

فمن اشتغل بذكر الله تعالى نال مرتبة عالية، إذ يتحقق من خلالها بالعبودية الصرفة، يعبد الله استحقاقاً وحباً، ولا يعني ذلك أن لا يسأل العبد ربه شيئاً، بل نحن مدعوون للسؤال، قال

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ك الزهد والرقائق، ب المؤمن أمره كله خير، مرجع سابق، ح2999، ص1424.

(2) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص250.

(3) انظر: المصدر ذاته، مرجع سابق، مج1، ج1، ص250.

(4) الحديث: ((يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم...)) الحديث، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ك الذكر والدعاء، ب الحث على ذكر الله تعالى، ح2675، ص1286، وبنحوه في نفس ك، ب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، مرجع سابق، ح2686، ص1290.

(5) قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: ((يقول الرب عز وجل: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))، أخرجه الترمذي في جامعه، ك فضائل القرآن، ب 25، ح2926، قال أبو عيسى الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، ص467.

(6) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، مج1، ج1، ص 157.

تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60] على أن لا يكون الدعاء وطلب الحاجات من الله يقصد به قضاء الحاجات وحسب، بل لإظهار التذلل والحاجة والافتقار إلى الله تعالى، أي التحقق بالتعبد التام. قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّالْحَمِيدُ} [فاطر: 15].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من تحقق بوصف العبودية بمعنى الخضوع والتذلل التامّين لله تعالى فقد نال مرتبة عالية من مراتب المحبة، وهي مرتبة التعبّد، التي لا تكون لجميع العباد، بل للمتعبد لربه بحب تام، الذي يعبد الله طوعاً بكل حب. وقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "((**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**))وقرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} إلى قوله {داخرين} [غافر: 60]"[(1)]، وذلك لما في الدعاء من إظهار للتعبد التام بالذلة والافتقار والخضوع بالكلية لله عز وجل.

و"ليس المقصود من الدعاء الإعلام، بل إظهار العبودية والذلة والانكسار والرجوع إلى الله بالكلية"[(2)]، ونحوه الاضطرار قال تعالى: {أَمَّنيُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل: 62].

ومن هنا نفهم رأي المحققين في المسألة في أنهم أثبتوا صحة المراتب الثلاث في العبادة، ولكن مع اختلاف مراتب العباد فيها؛ فعبادة الله تعالى خوفا من عقابه وعبادته طمعا في ثوابه مرتبتان صحيحتان لكنهما نازلتان، والمرتبة العليا هي عبادته محبة، والعابد محبة لا بد أنه يخاف من العقاب ويطمع في الثواب، لأنه لن يخالف مراد محبوبه(الله)، فمحبوبه (الله) أمره أن يخاف فخاف، ومحبوبه (الله) أمره أن يرجو فرجا، فأصحاب المراتب الثلاث كلهم يخافون ويرجون، ولكن مع اختلافٍ في النية، فأصحاب المرتبتين النازلتين يكون الخوف والطمع عندهم مقصودَيْن لذاتيهما، أما أصحاب المحبة فإنهم يخافون العقاب لأن الله أمرهم أن يخافوه، ويطمعون في الثواب لأن الله أمرهم أن يطمعوا فيه، فالمقصود عندهم هو مراد الله تعالى منهم وليس الخوف والطمع لذاتيهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن خوفهم وطمعهم لهما معانٍ إيمانية نورانية؛ فخوفهم خوف من التقصير وطمعهم طمع في عدم التقصير، كما أن خوفهم خوف هيبة لله تعالى ورجاءهم هو الثقة به عز وجل. والله تعالى أعلم.

ومهما يكن فإن أساس الحكم على صحة العبادة ومرتبتها هو نية العبد في عبادته قال صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**))[(3)] الحديث.

(1) أخرجه الترمذي في جامعه، ك تفسير القرآن، ب ومن سورة البقرة، مرجع سابق، ج(16)2969، وقال أبو عيسى الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، ص668.

(2) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق ، مج3، ج5، ص107.

(3) أخرجه الشيخان: الإمام البخاري في صحيحه، ك بدء الوحي، ب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح1، ص11. وبنحوه الإمام مسلم في صحيحه، ك الجهاد، ب قوله صلى الله عليه وسلم ((إنما الأعمال بالنية))...، مرجع سابق، ح1907، ص943.

هذا ويجدر التنبيه إلى أن دعوى المحبة المجردة لا تكفي، لذا نفى ابن تيمية صحة العبادة حبا فقط أو خوفا فقط أورجاء فقط، واشترط اجتماع الثلاثة ليتحقق الإيمان والتوحيد في العابد، لذا قال: "وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، وذلك لأن الحب المجرد ودعواه تتبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع الخشية لله." (1)

ومن خلال ما سبق عرضه يتبين لنا أن للعلماء في مدى صحة عبادة العبد رأيين:

الرأي الأول: القول بعدم صحة من عبد الله خوفاً أوطمعاً، وكان سبب هذا الحكم مرتبطاً بمسألة: وجه وجوب العبادة، فإذا تحقق وجه وجوبها صحت وإلا فلا تصح، والخوف والطمع ليسا من وجوه الوجوب عند أصحاب هذا الرأي؛ لذا لم تصح عبادة الخائف الطامع، وقد اختلف أصحاب هذا الرأي في وجه وجوب العبادة الذي يصححها، وذلك على قولين:

القول الأول: أن وجه وجوب بعض الأعمال وحرمة بعضها مجرد أمر الله بما أوجبه ونهيه عما حرمه، فمن أتى بهذه العبادات صحت، أما من أتى بها لمحض الخوف من العقاب أو الطمع في الثواب، وجب أن لا يصح، لأنه ما أتى بها لأجل وجه وجوبها.

القول الثاني: أن وجه وجوب العبادة هو كونها في أنفسها مصالح، فمن أتى بها لمحض الخوف من العقاب، أو الطمع في الثواب فلم يأت بها لوجه وجوبها، فوجب أن لا تصح.

وبالتالي فإن من أتى بالدعاء وسائر العبادات لأجل الخوف من العقاب والطمع في الثواب وجب أن لا يصح منه كل ذلك على حسب القولين السابقين وفق هذا الرأي الذي يقول بعدم صحة العبادة خوفا وطمعا.

الرأي الثاني: القول بصحة من عبد الله خوفا أوطمعا، ونلحظ أن أصحاب هذا الرأي:

1. لم يشيروا إلى مسألة وجه وجوب العمل؛ لذا أخذوا الأمر على ظاهره، بأن من عبد الله خوفا أوطمعا فقد تحقق بالعبودية، وعبادته صحيحة بإذن الله تعالى.
2. **أن أصحاب هذا الرأي على قولين:**

القول الأول: وهو القول بصحة عبادة الخوف والطمع على ظاهرهما، إلا أنهم أشاروا إلى أن صحة عبادة من عبد الله خوفا وطمعا لا تقتضي علو مرتبة أصحاب هذه العبادة، إذ عبادتهم وإن كانت صحيحة لكن مرتبتها نازلة، وتعلوها في المرتبة من عبد الله حبا واستحقاقا.

القول الثاني: وهو القول بأن صحة هذا العبادة ترجع إلى معانٍ أخرى للخوف والطمع بعدم أخذها على ظاهرها، فليست خوفا من نار أو طمعا في جنة، بل لها معان أخرى أعلى مرتبة من ذلك، وهي: بأنها خوف من التقصير أو طمع في القبول والكمال أو طمع في عدم التقصير، أو

(1) ابن تيمية، التحفة العراقية في الأعمال القلبية، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، ص445.

خوف هيبة وطمع رجاء، فالخوف خوف هيبة لله لا خوفاً من النار، والرجاء ثقة بالله لا طمعاً في الجنة.

وقد اجتهدت في التوفيق بين الرأيين ببيان أن ما قصده المتكلمون هو أن تكون غاية العبد من عبادته لله تعالى خوفاً محضا من عقابه أو طمعا محضا في ثوابه، أي ليس على سبيل الائتمار بالأمر الإلهي وهو وجه وجوب العبادة، ففي هذا المقصد تكون مثل هذه العبادة غير صحيحة، ولكن مهما يكن من أمر فإن مرجع الحكم الرئيس هو نية العابد، فلا نحكم عليه بمجرد قوله إنه يعبد الله خوفا أو طمعا، بل نيته هي الأصل في صحة عبادته من عدم صحتها، والله تعالى أعلم.

وخلاصة القول: إن التعبُّد مرتبة عالية من مراتب المحبة من تحقق بها فقد نال الخير الكثير. جعلنا الله من عباده المخلَصين، اللهم آمين.

الخاتمة

الحمد لله الذي أكرمني بالكتابة في موضوع (حقيقة التعبد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة) وقد وفقني الله تعالى إلى التوصل إلى النتائج الآتية:

1. إن مرتبة التعبد هي أشرف مراتب المحبة وأعلاها، وهي خالص حق الله تعالى على عباده بتوحيد العبادة وتوحيد المحبة، وإن حقيقة الإسلام تشير إلى مرتبة التعبد، إذ هو الانقياد والاستسلام والخضوع، وهو معنى الحب، فالمحب منقاد لحبيبه مستسلم له.
2. إن عبادة الله محبة واستحقاقا هي تحقق لمعنى التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الخضوع، وفيها يعبد العبد ربه وهو متلذذ بالعبادة.
3. يتفاوت الناس في مراتب العبادة، وتنقسم عبادتهم إلى ثلاثة مراتب: عبادة الله خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه، وعبادته تشرفا بعبادته والانتساب إليه، وعبادته تحقيقا للعبودية بما توجبه من خضوع وتذلل، أو بتقسيم آخر: عبادته خوفاً من عقابه، وعبادته طمعاً في ثوابه، وعبادته محبة واستحقاقاً له.
4. اختلف العلماء في الحكم على مدى صحة مراتب العبادة، ولهم آراء تفصيلية في ذلك، وهي أحكام دقيقة تتعلق بمذاهب العلماء في وجه وجوب التكاليف، ويجب أن تذكر في مجالس العلم الخاصة، ولا يصح أن تذكر أمام العوام لئلا يساء فهمها.
5. إن أساس الحكم على مدى صحة العبادة وقبولها هو نية العابد، فلا نجزم بالحكم، ولا نشق عما في صدور العباد.

Sources and References

- Al alusi, Mahmoud, *The spirit of meanings in the interpretation of the great Quran and the sevenfold*, 4th E, (1985/1405) , Dar Ihyaa Al Torath Al Arabi, Beirut.
- Al Abbee, Mohammad Bim Khalifa, *Explanation of the correct Muslim named: Complete the completion of the teacher*, 1st E, (1994/1415), Dar Al kotob Al Ilmiah, Beirut.
- Al Antaki, Daoud Bin Omar, *Decorate the markets in detail lovers' tastes*, Investigated by: Ayman Al bohairy, Dar Al kotob AlIlmiah, Beirut.
- Al Baqillaniy, Abu Baker Ibn Altaib, *Fairness in what must be believed and may not be ignorance*, Investigated by: mohammad Alkaothry, 3rd E, (1993/1413), Maktabat Al Khangy, cairo.
- Al Baidawi, Abdullah Bin Omar, *Download lights and secrets of interpretation*, 1st E, (2003), Dar Al kotob Al Ilmiah, Beirut.
- Al Tahanawi, Mohammad Bin Ali, *Scouts of art conventions*, 1st E, (1998/1418), Dar Al kotob AlIlmiah, Beirut.
- Ibn Taymiah, Ahmad Bin Abdullhalim, *Iraqi masterpiece in hearty business*, Investigated by: dr. Yahia Alhenady, 1st E, Maktabat Alrushd, Riyadh.
- Ibn Taymiah, Ahmad, *Furqan between the parents and guardians Rahman devil*, 1st E, (2003), Dar Ibn Hazm, beirut.
- Ibn Taymiah, Ahmad, *Base in love*, Investigated by: Foad Zamarly, 1st E (1999), Dar Ibn Hazm, beirut.
- Ibn Taymiah, Ahmad, *faith*, Investigated by: Isam Aldin Alsbabity, Dar Alhadith, cairo.
- Al Bokhari, Mohammad Bin Ismail, *Sahih Bukhari*, Dar Alarqam. Beirut.

- Al-Beqa'i, *Burhan al-Din, Al-Dorar Systems in the Suitability of Verses and sorahs*, 4th E, (2011), beirut.
- Al-Tirmidhi, Mohammed bin Issa, *Al-Tirmidhi jamea*, (2004), Dar Al Afkar AlDaoliah, Jordan / Saudi Arabia.
- Jabr, Ayman, *Dictionary of the words of the Koran, and with it: masterpieces of the book meanings of the Koran*, Dar AlArqam, Amman.
- Al-Jarjani, Al-Sharif Ali bin Muhammad, *Explanation of Attitudes, and with it: Hacita Sialkoti and Chalabi*,1st E, (1419 / 1998), Dar Al kotob Al Ilmiah , Beirut.
- Ibn Abi Jamra, Abdullah al-Andalusi, *the joy of the souls and their analysis by knowing what they have and what is a brief explanation of Saheeh al-Bukhari, followed by the book (Al-Marai Al-Hassan) of the same author*, Achievement and presentation: Dr. Bakri Amin, I 1, (1997), Dar al-Ilm for millions, Beirut.
- Al-Jawhari, Isma'il Bin Hammad Al-Farabi, *Al-Sahah Taj Al-Othman and Saheeh Al-Arabiya*, Inquiry: Emile Yaqoub and Dr. Mohamed Turfi, I 1, (1999), Dar al-Kuttab Al-Ulmia, Beirut.
- Ibn Hajar al-Askalani, *Fath al-Bari Sharh saheeh al-Bukhaari*, I 1, (1424 / 2003), Dar al-Kuttab al-Ulama, Beirut.
- Ibn Abi Hijla, *Shahabuddin Ahmed Maghrabi*, Diwan Al-Sababa,Dar Al-Hilal Library.
- Al-Hasani, Muhammad ibn al-Sanusi, *Sharh Saheeh Muslim, complete with completion, and with it (complete completion of the teacher) for the Abbi*, 1 st E, (1415/1994), Dar al-Kuttab Al-Ulmia, Beirut.
- Khatib, D. Muhammad, *Origins of the Islamic Creed and its Doctrines*, 1st E, (2011), Dar Al-Masirah Amman.

- Ibn al-Khatib, Sanan al-Din, *Kindergarten definition of love Sharif*, inquiry and comment and presentation: Dr. Mohammed Al-Katani, 1st E, (1970), Dar Althaqafah, Casablanca.
- Ibn Dawood Al-Dhaheri, Mohammed Al-Andalusi, *the flower, Investigation*, Presentation and Commentary: Ibrahim Al-Samarrai,2 nd E (1985), Al Manar Library, Zarqa, Jordan.
- Ibn al-Dabbagh, Abdul Rahman bin Mohammed Al-Ansari, *enlightening the hearts of hearts and the secrets of the mysteries of the universe,* investigation: H. Ritter, D., (1379 H / 1959), Dar Sader, Beirut.
- Al-Razi, Fakhr al-Din, *the great interpretation / keys of the unseen*, 3ed E, (1405 / 1985), Dar al-Fikr, Beirut.
- Al-Razi, *Explanation of the Names of God*, (1420 AH / 2000), Library Azhar Heritage, Cairo.
- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr, *Mukhtar al-Sahah*, achieved: Yehia Tawfiq, I 1, (1418 H / 1988), Library of Arts, Cairo.
- Al-Ragheb Al-Asfahani, *Dictionary of Vocabulary of the Quran*, 1st E, (1418 / 1998), Dar al-Kuttab al-Ulamiah, beirut.
- Al-Zubaidi, Muhammad ibn Muhammad al-Husseini, *the defiance of gentlemen who explain the revival of the sciences of religion, and his humility, the book of dictation on the problems of revival*, Dar al-Fikr, Beirut.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, *Al Kashaf*, 1 st E, (1946), Alistiqamah printing, Cairo.
- Al - Sherbini, Muhammad ibn Ahmad Al - Khatib, *Al - Saraj Al - Munir in Helping to Know Some Meanings of the Words of Our Wise Lord Expert*, 1st E, (2004), Dar al-Kuttab al-Ulamiah, beirut.
- Shaarawi, Mohamed Metwali, *interpretation of the Shaarawi: The thoughts of Sheikh Mohamed Metwally Al - Shaarawi about the Koran*, (1991), Today 's news, Culture Sector, Egypt.

- Al-Tabari, Mohammed bin Jarir, *the collector of the statement on the interpretation of the Koran*, 4th E, (2009), Dar es Salaam, Egypt.
- Ibn Ashour, Mohamed Eltaher, *Liberation and Enlightenment*, Dar Sahnoun Publishing and Distribution, Tunisia.
- Ibn Uthaymeen, Muhammad bin Saleh, *Explanation of the doctrine of Safarine*, 2nd E, (2013), Madar Alwatan for publication, Saudi Arabia.
- Al-Ghazali, Muhammad bin Mohammed, *Revival of the Sciences of Religion*, Dar al-Kuttab al-Ulamiah, beirut.
- Al-Fayrouzabadi, *Majd al-Din Muhammad ibn Ya`qub*, The Surrounding Dictionary, 2nd E, (1952), Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Press, Egypt.
- Al-Fayrouzabadi, *Insights of Distinction in the Ba'ath of the Noble Book*, Scientific Library, Beirut.
- Ibn Qayyim, Shams al-Din al-Jawziyyah, *the adequate answer to those who asked about the cure or cure and medicine*, Dar Al-Thuraya, Riyadh.
- Ibn Qaim, *Kindergarten of lovers and Nizha Almstaqin*, investigation: Osama Hassan, Almaktabah Al qayemah, Cairo.
- Ibn qaim, *the runways of those who walk between the houses of "Ayak neabd and Iyak Nastin*", investigation: Mohamed Hamid Al-Fiki, Dar al-Kitab al-Arabi.
- Ibn Qayyim al-Jawziyah, *The Spirit*, 1st E, (2002), Dundis Library, Amman.
- Ibn Katheer, Ismail bin Omar, *interpretation of the Great Quran*, investigation: Abu Muawiya Mazen bin Abdul Rahman al-Bayrouti, 2nd E, (2005), Dar Aldalil, and Al Rayyan Foundation, Beirut.
- Koshash, D. Mohamed, *Love and Expression (a study of the balance between towards the gin and towards the tongue)*, 1st E, (1420 / 1999), Modern Library, Beirut.

- Mahmoud, Suleiman Sami, *Divine Love*, 1st E, (1414 / 1995), no publisher.
- Mughtawi, al-Hafez Ibn Kulij al-Hanafi, *clearly mentioned in the mention of those who were martyred by the lovers*, Al Intishar Alarabi library.
- Ibn Manzoor, Mohammed bin Makram, *LiSan Arab*, Dar Almarif, cairo.
- Al-Nawawi, Muhyi al-Din bin Yahya bin Sharaf, *curriculum in the interpretation of Saheeh Muslim bin Hajjaj*, 1stE , (1423 / 2002), Dar Ibn Hazm, Beirut.
- Nisaburi, Muslim bin Hajjaj, *Sahih Muslim*, I 1, (1419 / 1999), Dar al-Arqam ibn Abi Arqam, Beirut.
- Al-Hajwairi, Ali bin Othman, *Al-Mahjoub Revealed, Study*, Translation and Commentary: Dr. Esaad Kandil, D. (1994), Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo.
- Ayyousbi, Judge Ayad bin Musa, *completion of the teacher benefits of a Muslim*, investigation: Dr. Yehia Ismail, 1st E, (1419 / 1998), Dar Al-Wafa, Mansoura / Egypt.